الأجنحة والكشف

طارق لحمادي

الأجنحة والكشف
قصص قصيرة جداً

دار غوايات
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت- لبنان

العنـــوان	الأجنحـــة والكشـــف
المؤلف	طارق لحمادي
حجـــم الكتـــاب	20/14
عـــدد الصفحـــات	80
سنة النشر	2015
النـــاشر	دار غوايـــات
رقـم الإيـداع الـدولي	978-9953-571-13-3

الطبعة الأولى كانون الثاني ٢٠١٥
لوحة الغلاف الفنان محمد الرّحال

كل الحقوق محفوظة لدار غوايات

تصدر عن مركز الطب الطبيعي للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا- بناية صيّاح-الطابق الأول-البوليفار الشرقي
هاتف: 892115 (03) 751273 (07)

الآراء والأفكار التي يتضمنها هذا الكتاب
لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

لا يجـوز نـشر أي جـزء مـن هـذا الكتـاب أو اختـزان مادته بطريقة الاسـترجاع أو نقلـه عـلى أي نحـو أو بـأي طريقـة سـواء كانـت الكترونيـة أو ميكانيكيـة أو بالتصويـر أو بالتسـجيل أو خـلاف ذلـك دون إذن خطـي مـن النـاشر.

تنويه

قُدّمت هذه القصص القصيرة جداً بصيغة ورقية في طبعة أولى تحت رقم الإيداع والسنة ذاتهما عن دار غوايات اللبنانية مناصفة مع شعر الشاعرة اللبنانية مريم الترك، لكنّي آثرتُ إعادة تقديم الكتاب هنا بصورة مستقلة وبهذا الإخراج الجديد pdf. وعليه، فإنّ عنوان الكتاب «الأجنحة والكشف» لا يسقط عن مجموعة صديقتي الشاعرة مريم الترك.

مقدمة

المقدمات هي حقيقة النقص الفادح فيما يلي من الكتابة، بعض فشلنا في قول ما يجب قوله في صلب النص. محاولة لسدّ ثغرات على طول العمل ولرأب الصدع الذي سقطنا في تعبيده إلى القارئ..

الأعمال التي تقترب من الجمال هي الأعمال التي تُسْقِطُ عنها مقدماتها وتستغني عن مفاتيح القيادة نحو أبواب نصوصها، لتأتي بعد ذلك من ذاتها معتدّة بما ملكت من جمالية اليقين، وقوة السبك، وقدرة على تطويع الذائقة، تلكم هي النصوص الكبيرة التي تزدان بقوة الحقيقة، وعمق التجربة، وسعة التأمل، وقيمة الفنّ.

إنّها النصوص التي لا تشحذ تعاطف القارئ، ولا تبيّتُ نيّة الحيلة جسر مرور إلى جنانها، فهي تتنزّه عن شرح ما يستغلق، وترتفع عن مستوى رسم الأطر والتدقيق في التجنيس، لأنها كتابة حاضرة بذاتها، معتدّة بجمالها، مؤمنة بحرّيتها وحرّية القراءة والتأويل فيها.

ومقدمة هذا العمل تقع في هذا الباب تقريبا، فهي الإشارة لما يعتري القادم من نقص، والمفتاح الذي يقود إلى فهم ما ضاع بين ظلال هذه الأوراق. نصوص تركبُ محاولة اختزالٍ إلى الحدّ

الـذي يطيـح بـما يتعـارف عليـه في فـنّ القصّـة القصـيرة جـداً، وهـي محاولـة نتعلّـق فيهـا بتلابيـب الـرّؤى المضيئـة الخاطفـة التـي تكشـف كل شيء يُعجزنـا في أكثـر المواقـف عـن الفهـم الكامـل، إنهـا ظـلال حكمـة ناقصـة تقـوم عـلى لـون يتقاطـع فيـه الزمـن بامتـداد يجمـع الحيـاة بالمـوت، ويكشـف بتكثيـف بالـغ مـا يقـع في الرمـز مـن إيـماء يحـرّك روح البصـيرة قبـل أداء البـصر.

ومنـه فـإنّ النـص الفنّـي الإنسـاني يجتهـد مـن داخلـه ليشـكّل خارجـه، فتبـدو بذلـك فكـرة تجنيسـه واقعـة بعـده لا قبلـه، ويغـدو القالـب لاحقـاً عليـه لا سـابقاً لـه. وهـي طبيعـة النصـوص التـي تتخـذ مـن روحهـا شـكل الحيـاة في قلـب وعقـل القـارئ، وتسـعى إلى خلـق قيمـة الجـدل الفاعـل الواقـع في بـاب المشـاركة لا التلقّـي.

هــذه هــي الأجنحــة التــي حلّقــتُ بهــا أو حلّقــت بي، زادي منهـا ريـش القلـق والخـوف، وطريقتـي بهـا الطـيران إلى التجـرّد ممّـا قـد يتعـارف عليـه النـاس، وحسـبي في النهايـة أنّي حاولـت بـكل النقـص أن أكتـب هـذه النصـوص الآيلـة ككل شيء إلى النسـيان.

أمنية

قال لي:

- مثلكَ يحتاج إلى امرأة مغرية وزجاجة نبيذ ومسدّس...

طفقتُ أمشي على غير هدى، متأملاً السيقان العارية والدنيا الفاتنة الفسيحة حتى شدّ انتباهي صبيٌّ لا يكاد يتجاوز العاشرة من عمره، يقتعد عتبة باب خشبي متآكل، ويشهر مسدّساً بلاستيكياً في وجوه السابلة.

عدتُ في اليوم الموالي أسأله:

- لقد تحقّقت نصف أمنياتك لي، فماذا عن النبيذ؟

قال بصوت جهوري:

- اصبر واحتسب، فمثلك سيشرب خمر الجنّة.

الإيمان

كنتُ كلما استبدّ بي الشوق إلى رؤيتها اتجهتُ رأساً إلى المقهى..
أجلسُ..
أطلبُ قهوة..
وأرقبُ فلاديمير وهو ينتظر غودو...

* * *

تـردّدت شـائعات في الحـيّ تقـول: " لا يمكـن رؤيتهـا إلّا عـن طريـق الإيـمان.."
قال العارف بالرّواية:
- هو ينتظر بلا حماس ولا إيمان.

السؤال

جرحتْ الخيال بحجر خوفها، واستسلمتْ إلى رعشة عابرة..
نسألُ الرّاوي بحلوق مالحة وأعين شاخصة:

- وماذا صنع هو؟

يعدّل من جلسته، ويقول:

- بحث عن ضماد الواقع فلم يجد غير سريره العاري.

ننتظر بشغف أن يواصل حديثه، فيقول:

- أعماركم لا تسمح لكم بالفهم.

نتركه خلفنا ونمضي إليها، يتساءل بعضنا:

- أليس من المنطق أن تجيبنا هي؟.

العزف

العازف الذي ذهب إلى الحرب، ترك خلفه زوجة وقيثارة..
يظلّ القيثار على رفِّ الجدار، تستغل الزوجة وقت فراغها وغياب زوجها في محاولة تعلّم العزف إيماناً منها بقتل الوحشة في البيت..

لكن البيت أَلِفَ الصمت، ما جعل درجات سلّمه الجرانيتي تختفي ربما لقلة استعمالها.

بقي العازف على جبهة القتال.

وتعلّمتْ الزوجة العزف بسبّابتها لا أكثر.

الشّبق

... وعاد حصانه ليلا من واقعة حربها ينزف ماءً.

قال الرّاوي:

- لم يمسسها قط.

وقال من شهد الواقعة:

- صكّ الحلم بحافر شهوته ومات..

وفي رواية أخرى قيل:

- إنها مازالت تسرج فراشتها لحربه كل ليلة.

إنّا للّه وإنّا إليه راجعون

نعى النّاعي إليّ خبر موتها، فتدفّقت سواقي الذكريات في نفسي.. قال بحرقة:

- حدث الأمر بسرعة لم نستوعبها، دخلتْ المستشفى بعد وعكة صحيّة ثم...

أجهش بالبكاء، وتجلّدتُ بالصبر والأسف، وحلّقت زوابع الحياة الماضية بغبار حجب الرّؤية، حتى سألني:

- هل ستحضر الجنازة؟

لم أجبه، ولم أنته إلى فهم ما يجري حولي. لذلك فقد استسمحته لو تكرّم وذكّرني باسمها من جديد.

فسأل بصوت مخنوق بالدمع:

- هل نسيتها؟

أنا أعرفها، عملتْ معنا بالسكرتارية منذ التحاقها بالعمل، كنتُ أول من قابلها، توطّدت بيننا الصلة، وكافح كل منّا في عمله حتى فرّقتنا الأيام فانتهينا إلى النّسيان، ثم عدتُ أسأله بلا وعي:

- كيف تموت؟
- لا نعرف، فنحن لحد هذه اللحظة لا نملك غير خبر وفاتها.
- يا للحياة.

همس، وهو يهمّ بإغلاق سماعة الهاتف بيننا.. " لقد دفنتَ اسمها في تراب نسيانكَ..."

قلتُ بقلب تفتّته الحسرة:

- إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

انتظار

قد أختفي في ظروف غامضة..

وتتساءل المرأة التي تعوّدتْ على وجودي في المكان عينه، حيث الكرسي الحجري النّابت تحت شجرة الصفصاف:

- لم أره منذ مدة...

ثم تسأل وهي تدفع مشّاية رضيعها الذي بدأ يتعلّم الضحك:

- كيف وضع نفسه في احتمال الغياب؟

فجأة ظهرتُ على الكرسي نفسه في الظروف الغامضة ذاتها، التفتت المرأة نحوي وطريق الحديقة تغيّبها فيما راحت ضحكات رضيعها تخفتُ إلى أن تلاشت...

اختفتْ في ظروف غامضة، وتغيّر موقع الحديقة.. لكنني مازلتُ أجلس كل مساء على الكرسي الحجري ذاته، وأنتظر...

التاريخ والجغرافيا

لم يـر جغرافيـا الجسـد رؤيـة العـين لـو لم تثمـر شـجرتها، فقـد كشـفتْ لـه في أتـون نضجهـا عـن أسرار السـيّل وتعـرّج الينابيـع، قادتـه إلى ظلمـة كهوفهـا السـحيقة، وعـبرتْ بـه هضـاب فتنتهـا، ثـم أحرقتـه بنـار السـعير.

قال يحدّثُ نفسه في عمر كهولته:

- كانت تشتعل بمكر، ولا تنطفئ إلاّ بمياه شبابي...

وسأل نفسه بخوف:

- كيف حدث ذلك الجنون الذي عصف بنا؟...

لم يبـق إلاّ حفيـف الشـهوة في أوراق عمـره الخريفـي، وتمنّـى وقـد خـسر وجـه الواقـع أن يظفـر بجسـدها الثـري في حلـم عابـر. لكنـه عـاد فتذكّـر أنـه رآهـا مـرة واحـدة مـذ افترقـا.. تبعهـا بسـيارته وهـي تقطـع الطريـق المؤديـة إلى مقـر عملهـا الجديـد، ثـم ذابـت في نهـر الأجسـاد البشريـة المتلاطمـة..

لم تتغيّر رغم ثقل السنوات...

تنهّد بحسرة وهو يهمس:

- كانت جسري إلى جسد النساء..

قال الرّاوي بعد أن سكت هو:

- كان يريد أن يدوّن تاريخ آخر رؤية لجغرافيا جسدها.

مالك الحزين

تبدّلـت الفصـول وجفّـت الجـداول، تغـيّرت الدنيـا مـن حـال إلى حـال، نكّـس رأسـه إقـراراً بالهزيمـة، فقلـتُ:

- دورَكَ..

بدا كأنه نسي الحساب...

قـرع حـواف أحجـار الدومينـو ببعضهـا بعضـا في توتـر ظاهـر، زاد وهـج الشـمس، فتحوّلـت بـرك المـاء إلى طـين، سـألته مـرّة أخـرى أن يلعـب فقـال:

- من اللائق أن يهاجر مالك الحزين.

الحبّ القديم

كأنّ كل ما بيننا انتهى، العشرة والحبّ والأحلام العريضة، افترقنا بصمت وبنهايات مفتوحة..

واستفحل الشوق، فسعى كلٌ منّا إلى تسقّط أخبار الآخر بطريقته..

قالت:

- بقي كما كان...

وقلتُ:

- برغم ما طرأ على حياتها من تغيّر، فقد بقيتْ كما كانت...

وقال رواة الحكاية:

- تغيّر كل شيء، وبقي الحبّ القديم.

تذكار

تجلّـتْ في فسـتان فرحهـا الأبيـض مـلاكاً بـلا جناحـين، فـاض الوجـه بأمـارات الصّحـة والعافيـة والشـباب، وشـعّت النظـرة بشـهوة حبـور بريئـة، ولاحـت اليـد الصغـيرة في قفّـاز أبيـض مخـرّم ممسـكة بحقيبـة بيضـاء.

سـارتْ بـين الحضـور فاختلطـت أصـوات الفـرح بروائـح السـرور، دندنـت الأفـواه بإيقـاع الحـبّ والحيـاة، ورفعـت يدهـا في الهـواء ليلتقطهـا شريكهـا...

لم يكن ثمة أحد..

شـعّ ضـوء خاطـف، تـلاه صـدى قرقعـة زرّ، فتوقفـت الصـورة في لحظـة سـكون أبـديّ ..

رقصة النّار

عبّـتْ كأس الرّحيـق، ثـم طـارت مـن عتمـة المـكان نحـو وهـج الضـوء.

لم تمهلـه الوقـت الـكافي كـي يرتّـب شـغفه بأثرهـا النّاعـم، راحـت تراقصـه بـكل الجـوع الـذي في جناحيهـا، ثـم عاجلتـه بعضّـات لا رحمـة فيهـا حتـى ضجّـتْ دمـاء عروقـه بالنـور، شـعّت الرّغبـة القديمـة مـن عينيـه..

مدّت الجاذبية لسانها تلعق الحبّ المحلّق.

ابتسـمتْ كاشـفةً عـن فرحـة علويـة، فسـقط إذّاك تفّاحهـا جثـة عـلى سريـره...

قال الرّاوي:

- أطفئوا الفانوس حتى نخلد إلى الموت..

نِدَمٌ كثيرة

صرعني النوم وأنا في انتظار خبر ما، وحين أفقتُ وجدتُ التعب يسيل من جسدي، مرّ شقيقي قرب باب غرفتي، فقال:

- ماتت عائشة...

قلتُ بين يقظة وغفوة:

- أعرفها.. أعرفها عائشة.. خيرٌ لها أنها ماتت..

انتابتني فرحة لم أعرف لها مبعثاً، وسألته:

- كيف عرفتم؟..

- سمعنا البكاء..

من جهتي لم يتسرّب إليّ أي صوت ينذر بالحياة أو الموت، فحمدت الله على نعمه الكثيرة..

مشكلة

جلسنا غير متباعدين نتسلّى بشرب القهوة، هو يخيط كفني، وأنا أكتبُ عنه.. سألني إنْ كان للموت معنى، فقلتُ:

- يتوقف معناه على شكل الحياة والموت بحياتهما معا أو...

وأطرقتُ أفكّر كمن فشل في الفهم، فعاد يسأل:

- كيف نحيا الموت، والموت في أصله إعدام للحياة؟...

قلتُ، وأنا أضحك من عمقي:

- الموت هو مشكلة الحياة لا أكثر...

الوصول

مضى الرّجل يتعثّر في ظلمة الليل، وقد شحب ضوء الفانوس في يده فاحتار.. كيف لهذا الزيت الذي أوهمه بالفتوة والشباب قبل هنيهة أن يتراجع الآن فيخذل رحلته في الطريق إلى النهاية؟...

وساءل قلبه بالرّمق المتبقي من الإيمان:

- هل يصلح الخريف عكازاً للوصول؟..

تأمل الأحفاد والرّبيع وبعض الفراشات، ثم رأى الطريق وهي تضيق فتعجنها حلكة كالعدم، وضرب بكفّه الواهنة على جدار الفانوس لعل شعلته تَتَّقِدُ من جديد، فلم يبلغه غير صدى الفراغ، وسال صوته في الليل:

- الآن قد وصلتُ...

الغائب

تطلّع إلى الشّمس، وقال لهم:

- أحتاجُ إلى قلبي كي أواصل الطّريق..

لم يسمعوه في خضم جلبتهم، شربوا كؤوس الضوء ثم بحثوا بأيديهم عن وجهه فلم يعثروا له على أثر.. تساءلوا فيما بينهم عن أسراره، وعدّدوا مزاياه، وكتبوا على جدران الحانة المهشّمة.. اسمه وتاريخ ميلاده، حسناته وسيئاته، فلتات لسانه وزلات قلبه..

قال كبيرهم:

- ينقصنا تاريخ موته..

وأسرّوا لبعضهم بعضا بهمس لا يكاد يُسْمَع...

وانتظروه حتى اليوم...

اللَّه

سَأَلْتُهُ:

- أتعرفُ الله؟...
- نعم أعرفهُ.
- كيف وجدتهُ؟
- لم أضيّعه حتى أجده.
- صفه لي..
- هو أنا وأنت على محبّته، تغريد العنادل في قلب الشتاء، وخرير ساقية في قيظ الصيف، وحبّة قمح تغنجُ في كفّ سنبلة، وندفة ثلج في قلب عاصفة، وعصفور يلتقط رزقه في زمهرير الشتاء..
- لم أعرف لله طريقاً أروع من وصفك..
- ولا عرفتُ يداً قادتني إلى وصفه كمثل يدكِ..

وصمتا بكامل البهاء، والليل يطوي كتابه...

اللقاء

كيف اختلفنا في طريق اللقاء والعمر؟

قلتُ لنفسي: « لقد سلكنا الدرب عينه، فكيف انتهينا إلى الفراغ؟..» برغمه بقينا نأمل أن ترفّ طيور الأمل على شرفات الوقت. غير أنّ محاولات انتظارنا باءت بالفشل..

وجدتني بعدها في المقهى.. اجترّ الذكريات، وألاحق بالعين الكليلة غبار الحوادث العابرة، وأستعين بنظّارتي على قراءة أخبار الوفيات في الصحف، اجتهدتُ قدر ما وسعتني الحيلة في فهم خيط الحياة. لكن السؤال مات في حلقي..

وقال العارف بالنّوايا:

- كنتَ تكبرها بغياب فيما تصغركَ هي بحضورها الدائم، ولأجل هذا ربما خسرتما اللقاء..

العظمة

ركلتُ علبة السجائر الفارغة، وفكَّرْتُ في التاريخ الطويل الحافل بألوان الشّر والضياع، كما فكَّرْتُ في خروجي من الجنّة ووحدتي على جحيم هذا الصقيع البارد في هذا الدرب الذي يتماهى بين القصر والطول كحرباء تتلوّن بمزاجي النفسي.
قلتُ لنفسي... هناك أشياء عظيمة وأخرى وضيعة تعرَّفْتُ إليها أو تعرَّفَتْ إليّ. هناك بشر صادفتهم وصادفوني. جلسنا لبرهة من الزمن تحت شجرة عارية حزينة، ثم مضينا كلٌ إلى طريقه. بالقطع حدثتْ أشياء فارقة أرَّخَتْ لعلامات مهمّة بين عدمي ووجودي وموتي وحياتي..
ثم..
- من يأبه؟.. قال صوت الشيطان..
كتمتُ غيظي وحنقي، ومضيتُ أفكِّرُ في عظمة ما قمتُ به، وأنا أهمس لنفسي.. « يكفيك فخراً تحريك علبة سجائر فارغة من نقطة سكونها العظيم...»

نزوة

نهرتــه أكثــر مــن مــرة، فلــم يســمع غــير نــداء أعماقــه. أسرج قلبــه باللعــب ومــضى إلى الحقــول المفتوحــة، ومــاذا يهمــه مــن وعــي الكبــار وأقوالهــم الســخيفة المملــوءة بالزجــر والوعيــد والحكمــة؟.. ومــا الــذي ســيفعله إن لم يفعــل ذلــك؟

ويئســتُ منــه إلى الحــدّ الــذي فكّــرتُ في قتلــه. لكنــه بقــدرة مــا ســمع مــا دار في رأسي مــن خاطــر، وقــال لي بخشــوع الــبراءة:

- أنا لا أقتلُ يا أبي، أنا أصطاد فقط...

رفعتُ قلبي إلى الأفق، ورحتُ أسأل:

- يــا إلــه العصافــير... مَــنْ يُلهِــم الفــخَّ نزوتــه كــي تمــوت الســماء؟ !...

الجنازة

المرأة التي سرتُ خلف جنازتها هذا المساء لم أرها في حياتي قط، ولا أعرف حتى اسمها، والرّجل الذي مشى إلى جواري منكّس الرأس، قال:

- تصغرني بأعوام...

هو من جيلي، وأنا أنصتُ إلى خشخشة أحذيتنا على التراب، وتجاذبتني تأملات بعيدة، وهمس صوت في الأعماق:

- هذا يعني أننا شهدنا ميلادها كما نشهد اليوم موتها؟...

الرّجل الذي يمشي إلى جواري لا يجيب، يبدو غير آبه بما أفكّر فيه، والمرأة التي لم يُكْتَبْ لي أيّ لقاء بها. متلفعة بسكون مخيف، وهزّتني لكزة، فانتبهت.. قال:

- هذا والدها..

عزّيته بقلبٍ مكسورٍ، ومشينا بحرارة النهاية نحو المقبرة...

المجنون

...ثم رأيته يمشي بكل خفّته نحو التلاشي. لم يعرفْ الأشياء كما نعرفها نحن، أما الرّوايات فقد أجمعت على حديثه للماء والهواء والشّجر والحجر...

وتطوّعتُ بكشف ما رأيته منه، فقلتُ:

- ما أكثر المرات التي خلع فيها شواهد القبور، ولوّح بها في الهواء..

فقال لي آخر:

- ثم راح يضحك... صح؟..

أومأتُ برأسي، وسألته:

- كيف عرفت؟

أطلق ضحكة صافية، وقال:

- فعل ذلك فوق قبري..

بقي الموت في سباته العميق، وأرشدنا الخوف إلى طريق جديدة لنصل من خلالها إلى المدرسة. فلم نتعلّم ما يعرفه هو..

يقول الرّاوي حين نحتار في أمرنا:

- هو لم يفض بكارة الشهوة فعرف عذرية الشغف الكامل.

الوحي

جلس في المقهى ينتظر الوحي، ودخل رجلٌ عجوزٌ بقشّابية فخيّب انتظاره. راقبه بعين قلقة، وهو يطوف كعادته بالجالسين، يطلب صدقة. لكنهم منعوه كما في كل مرة..

أحسّ بخمول الجو برغم الضجيج الفاتر المتصاعد من قرقعة أحجار الدومينو، فأشعل سيجارة أخرى، رمق بحسرة العجوز الذي خرج يتوكّأ على سنواته الطويلة، واكتشف يده وهي تتسلل بقسوتهم إلى جيبه الفارغ. طنّ بعض الذّباب على حواف طاولته فلم يأبه، وتطلّع بقلق عاشق نحو الباب.

النجاح

فشلتْ في الحفاظ على الأسرة. فانفرط رباط البيت بعد شدّ وجذب، ووقع الطلاق الذي كان لابد منه.

أخيراً تذوقتْ ثمار الحرّية. غير أنّ الطّعم تكدّر بحاجات الأبناء، فاستعانت على كمال تحرّرها بإلحاقهم بالرّوضة، وعملتْ على إضرام نار فتنتها بأثواب تراوحت بين الأناقة والإثارة، وجدّدت سحر شبابها بالأصباغ، فراحت تختلف إلى الهيئات المدنية حيث أظهرت كفاءة وقدرة في الدفاع عن حقوق المرأة، وغرقت في انشغالاتها وجريها المتصل الطويل الذي بدا وكأنه بلا نهاية، ونوّعت علاقاتها فاتصلت بالأحزاب السياسية والجمعيات الخيرية، واجتهدت فوق طاقتها فضاق وقتها إلى الحدود التي نسيتْ فيها حاجتها لأطفالها ونفسها وجسدها..

لم تتنبّه إلى تلك التجاعيد التي غزت وجهها، ولا إلى ذلك الشعر الذي تسلّل من بشرتها، ومقابل ذلك فقد حقّقت نجاحاتها الباهرة كامرأة يقرّ الجميع بأنها خدمت قضايا الإنسانية المختلفة..

لكن امرأة واحدة تقرّ بالسرّ الكبير لنفسها...لقد فشلتُ في كل ما تنجح فيه أبسط أنثى.

الجواب

لم نرتح أبداً من الموت المفاجئ الذي ينهش القرية الصغيرة منذ ملايين السنين. كنّا نعرف الأسباب ولا نعرفها، يقول بعضنا هي الأمراض، ويقول فريق آخر: هي أقدارنا التي تتزيّ لنا في شكل حوادث معقولة. يقبلها منطقنا الذي بنيناه بحجر المعرفة وسقف إيمان أرواحنا، ونختلف في الأمر فنحتمي بالخوف ونعزو خساراتنا لغضب السماء علينا..

ثم نسمع من يقول:

- الأسباب منّا وفينا ...

نستوضح الفكرة أكثر فلعل نصف الشفاء يقع في فهم الأسباب، فنسأل:

- كيف ذلك؟!...

يفيض الصوت بجواب يرعبنا:

- كُلُوا لحم بعضكم بعضا بالحبّ أو الحرب...

لم يقل الجسد أكثر من الماء

نختلف في كل شيء، ونتّفق في كل شيء.
ما ينقصني فيها هو ما ينقصها فيّ، وأسرجتْ مهرتها لملاقاتي.
ففككتُ لجام مهري..

مررنا بالفصول، فشهدنا الطبيعة في تحوّلها.. ثارت براكين، ضربت زلازل، لمعت بروق، قصفت رعود، تهاطلت أمطار، أشرقت الشمس، ومن طول المسير شعرنا بالظمأ، فقالت:

- ستموت الحياة لو بقينا بلا ماء...

حمحم مهري فلهثتْ، وسال عقب ذلك بعض الماء، فنبتت زهرة برّية.

الجارة

أما آخر ما كان. فتلك اللذة المتعثّرة بأسمال الخوف والندم، فرّ كل منّا إلى أوجاع الضمير والأيام. باعدت بيننا الشقة فشرّقتني الحياة مثلما غرّبتها، ولأسباب ترتبط بالسنّ والزواج تذكرتها. فجرّ خيط الذكريات خلفه الإثم والخيبات واللذة والوعد القديم...

- سأتزوجكِ...

انداح في الجو ثقل لا عهد لنا به، ورفّ الوقت بسأم الموت، فاحت رائحة الضياع في صمت قطعه البكاء، فقلتُ أهرب ممّا نحن فيه:

- إيّاكِ أن تتخيّلي أنّي سأتخلّى عن وعدي...

لم تهتم لما عزمتُ عليه. ربما استصغرتْ عمري، وربما فكّرت في الانتحار كحلّ جذري لمصيبة لم نحسب حسابها. ودفعنا باب الخوف الموارب بيننا فأغلقناه، سكن كلٌ منّا في موته البعيد، فشحّت الأخبار، وتماثل الشرف للشفاء بدواء النسيان...

ثم تحمّستُ لعرض شقيقتي الجديد، وهي تعدد مزايا وخصال الموظفة الجديدة، وتهمس بما يشبه المفاجأة:

- لا تنسَ أنها جارتنا القديمة...

القناع

حيّرني الرّجل الذي وقف يتقنّع وسط الميدان. ومثل هذا الأمر قد لا يدعو إلى الدهشة طالما ارتبطت الفكرة بقناع واحد.. قلتُ لنفسي.. لعلّ الرّجل يحضّر نفسه لعملية سطو على البنك، ولم يمهلني الوقت الكافي كي أجرّب معه احتمالي الثاني. فقد أخرج مجموعة أقنعة متباينة الأشكال مختلفة الألوان، وراح يلبسها الواحد تلو الآخر..

بدت الأقنعة متراكمة على وجهه حاجبة كل ملامح بشاعته، فبدا لي بصورة بديعة التكوين، غاية في الكمال..

استمتعتُ كثيرا بمنظره اللافت، وسلوكه النقي وهو يروح ويجيء في المكان عينه، يقدّم بين الحين والآخر الحلوى من جرابه لأطفال يعبرون الميدان، إلى أن سُمِعَتْ صافرات إنذار، وهبّ رجال الشرطة فطوقوا المكان وراحوا يطلقون النّار عليه..

سقطت الأقنعة، فبدا منه وجه حيوان يشخر ويرفس بقائمتيه الخلفيتين.

المسرح

جلسوا على كراسي المسرح المتراصّة بتشكيل هندسي يتيح لهم رؤية الخشبة كاملة، وانتظروا بلهفة أن يُرفَعَ الستار ليبدأ العرض. لكن الممثل تأخرّ في ظهوره لأسباب يجهلونها.
قال أحدهم ضاحكًا على خيبته:

- هذا يشبه عرض غودو إلى حد بعيد..

وسألت امرأة كانت على مقربة منه.. عمّا يعنيه بغودو هذا؟.. فشرح لها أنّ بعض النّظارة انتظروا هذا الشيء الذي اسمه غودو طوال العرض المسرحي، ولكنه خيّب أملهم بغيابه المطلق، وعادت تسأله:

- وهل استردوا ثمن تذاكرهم ؟..

فقال:

- لا لم نفعل، لقد تفرّجنا على انتظاره لكنه لم يأت.. فقالتْ بسخط :

- وها نحن نحضر مسرحيته من جديد، لذلك تبدو الخشبة فارغة..

وتشعّب الحوار بين الرّجل والمرأة، مستقطباً أكثر من شخصية على مقاعد المسرح، تداخلت الأصوات والأفكار والملاحظات والإيماءات والإشارات.. وتكلّلت وجوه بالفرح والسعادة، واتشحت أخرى بالحزن واليأس، ثم دبّ الملل بينهم فانهالوا

عـلى الخشـبة بـما طالتـه أيديهـم..

واشـتعلت الأضـواء، ونـزل السـتار، وغـادروا المـسرح كـما دخلـوه...

في أعلى الشجرة

الكهل الذي تسلّق شجرة الزّيتون بقندورة* فضفاضة ليضرب أغصانها بالعصا، لم يكن يدرك أنّها هناك في الأسفل ترى كل شيء.. سألها إنْ كان الحَبّ يتساقط؟.. ظلّت مشرئبة بتيهٍ حبس أنفاسها، رأت حلاوة الدنيا ولذّاتها، وطحن الوقت حبّات الزّيتون التي تقاطرت زيتاً على فخذيها..

* * *

لم ينزل الشيخ عن الشّجرة حتى خرجت هي من الجنّة.

---

* لقندورة: لباس تقليدي فضفاض يشبه القمصان.

الأسباب

ظللتُ أفكّر كثيراً في تبرير غيابي الآتي...

وقال القائل:

- لقد مضى في صمت كما يموت المتسوّل الغريب في المدينة الكبيرة.

لكن قول السبب سوف يكشف جوهر حقيقتي. إذ لا يمكن أن تصدق مع هؤلاء بقولك: «.. تمّ بحمد الله تحديد موعد دخولي إلى قسم الأمراض العصبية لمواصلة العلاج.."

من المستحيل قبول فكرة كهذه.. ثم إنّ الرّجل لا تبدو عليه أعراض المرض العصبي...

وفي مثل هذا الاحتمال سمعتُ أحدهم يقول:

- لا أفهم في الأمراض النفسية، ولكنه – على أقل تقدير – يبدو في كمال عقله.

أرأيتم...هذا أول الغيث..

يستحيل أن أصدق في قول السبب، لأنه لا يمكن لأحد أن يصدّق ما أنا عليه.

لم تنفع تلك الجلسات مع طبيبي في ضمّي إلى القطيع من جديد، ورأى أنّ حالتي تسوء أكثر.. فاقترح تعاطي الأدوية.. خابت النتائج مع الوقت، وشعر ببلادتي، وثقل لساني، وحاجتي

إلى فهـم مـا يجري حـولي..

لم أكـترثْ.. فإحساسـه ليـس مشـكلتي، ولكننـي أودّ في الوقـت نفسـه تبريـر غيـابي عـن الحيـاة بالطـرق العقليـة الممكنـة..

عدت إلى البيت لحمل ما تيّسر لي من أغراض، وأنا أسأله:

- ما الذي سأقوله للنّاس بعدها؟..

قال دون أن ينظر في عينيّ:

- هبْ أنّك غبتَ فجأة بلا أسباب...

المجهول

لا أعـرف إنْ كنـتُ أحبّـه أم أكرهـه، سـمعتُ امـرأة تثنـي عليـه، وقـال رجـل يسـهر معـي في العـراء:

- ابن الكلب لا يؤتمن..

مسـحتُ فمـي مـن أثـر البـيرة، قذفـتُ الزّجاجـة ناحيـة دغـل فصفّــرت في الهــواء، أعقــب ســقوطها عــواء كلــب سرعــان مــا تلاشــى..

أطرقــتُ أعــدّ المــرات التــي خــاب فيهــا الرجــاء لمقابلتــه، فخذلتنــي أصابعــي، وهمــس لي:

- لماذا لا تؤمن؟...
- وبمن سوف أكفر؟..
- بأحدنا.. لا يهمّ... عليكَ أن تنحاز للحبّ أو الكره..

بلغتْ حيرتي أقصاها فقلت له:

- صَارِحْنِي من هو، حتى أعرف كيف أقرّر؟...

الإيثار

رغـم الحـمّام المعطّـر فقـد بقيـتْ رائحـة السـمك تفـوح مـن جلـدي الأسـمر المشـوي بشـمس آب..

على عتبة بيتها قالت:

- لا بـأس سـأكون سـمكتك الأخـيرة التـي سـوف تحملهـا إلى موتهـا...

نكّستُ رأسي، فعادت تسأل:

- كم جنيتَ اليوم؟...

- القـوارب لم تعـد بعـد مـن الصيـد، ومـا جمعتـه لا يكفـي لقتلـكِ...

قهقهتْ بعهر بيّن، وهي تقول:

- سيكفي ما جنيته لشربكَ فقط أيّها الملعون..

- لن أسعد بالنبيذ وبطنكِ خاوية...

أنزلتُ اللفافة في حجرها، وطرتُ كنورس إلى الميناء.

الأثر

انتشر شذاها الزكي في الجو، فلمعت العيون كنصال سيوف تحت وهج الشمس، درنا في المكان نبحث عن أثر يقودنا إليها. فتعب بعضنا وتهالك على الطريق فيما واصل بعضنا الآخر مسيرته بحزم وأمل..

لم تتكّشف لي رغم السنوات الطويلة. فعدتُ مع المساء أحبو على تراب الخوف نحو مسكني الجديد..

سأل العارف:

- هل بقي أثر الشذا الطيّب؟...

قلتُ بيأس:

- لم يبق غير البكاء المتأهب الذي تلمع به الأعين، والدعاء الذي تلهج به الألسنة...

فقال من وراء الحُجب:

- سبحانك ربي...

الرّبيع والخريف

نسي أين رآها أول مرة. لكنّ الوجه لا يبدو غريباً على قلبه.. في عينيها هذا الهدوء المتحفّز ليعصف بكل شيء، ومن قلبه فاحت رائحة الشوق القديم فحجبت عن الذاكرة أول معرفة له بها، تساءل وهو يخطو على الرّصيف مقتفياً أثر ظلها:

- أين؟... أين؟...

مالت إلى شارع متفرّع عن طريق قامت على جانبيها أبنية قديمة. فلحق بها، وحرص على إبقاء المسافة بينهما بالقدر نفسه الذي بدأ فيه ملاحقتها، فلا هو يضيّعها، ولا هي تحسّ به.. سارت معتدّة بشبابها مزهوة بفتنتها متألقة بأولى أيّام الرّبيع في فصول عمرها، وسار خلفها بكسر كهولته، وأفول وهجه، وجرح أولى أيّام الخريف في فصول عمره..

لم ينسَ المستحيل. فلا يمكن أن تجمع دورة الحياة الرّبيع والخريف إلاّ في الأحلام..

عاد أدراجه إلى المقهى ليحلم..

الثورة

هاهو الخراب يحلّ بكل شيء، تهاوت الأبنية تحت ضربات القذائف، وانتشرت الجثث في كل مكان، اختفت رائحة الحياة من غلبة عفونة الموت، وساد في الجو كره مقيت طعّمته خشخشة نعالنا على هذه الأرض المدفونة تحت الأنقاض، تقدّمنا بحذر خوفاً على أنفسنا من أيّة إشارة من إشارات الحياة فلم ندرك غير الموت الذي عصف بكل شيء، ولكي نزيد من يقيننا رحنا نطلق النّار على الهواء ونحن نكبّر ، وقال أحدنا:

- لقد حقّقت ثورتنا كل الحياة..

السرّ

أجلمنا الخوف ونحن نحملق في الظلام، وتعثّرت قلوبنا بذكريات السماء وشذا الجنّة، قال صوت لم نحدّد مكان صاحبه:

- يجب أن تعبروا الجسر..

وقفنا نتملّى المسافة الغارقة في العتم، وبدا التردّد على أكثرنا حتى نهرنا بقوله:

- لا تفشوا السرّ..

تبادلنا النظرات، وغلبتنا رغبة في الحديث، فرفع يده مستنكراً، وبصوت سماوي قال:

- أسلحتكم معكم فلا تفسدوا، وأما السرّ ...

وسكت..

كنّا على الجسر بالسرّ ذاته الذي نجهله...

الحياة

عـدتُ مـن المستشـفى تحـت وابـل المطـر. كانـت أمّـي لا تـزال مقرفصـة بعجزهـا الكامـل في رأسي. قلـتُ بينـي وبـين نفـسي.. لأشـارك خلـق الله نخـب اليتـم فلسـتُ الأول ولا الأخـير، ومـررتُ بمتسـوّل يتبـوّل عـلى جـدار آيـل للسـقوط فتاقـت نفـسي إلى سـؤاله، لكـنّ الظلمـة ابتلعتـه ولم تبـقِ منـه غـير صـدى كلماتـه: «.. أولاد قحبـة مـا يخلوكـش حتـى تبـول..»

سنابل النّار

أحصـدُ بمنجـل الرّؤيـة سـنابل هـذه الأجسـاد التـي يمـوج بهـا تـراب الشـارع، مثقلـة بالحَـبِّ هـي، ومثقـل أنـا بالحُـبِّ والشّـغف. أتسـلّل إلى مرحـاض ذي بـاب خشـبيّ عتيـق، أشـدّه بمـزلاج صـدئ حتـى أشـعل العمـى في أعـين الخـوف، ثـم أعـبر إلى خيـالاتي كطيف.. تقذفنـي أيـدي السـعادة العلويـة إلى ذرى اللـذة، فأقـذف حاجتـي في الـتّراب، وبسرعـة مـن يخـاف أن تكتشـفه سـلطة مـا..

أهرب من نفسي، ومن الحرام، ومن نار الرّحمن..

وأبكي في صمت.

الحطّاب

المـرأة الشـجرة... أقطعهـا بفـأس الرّغبـة فتهـوي عـلى ظلّهـا، يتطايـر غبـار السريـر، وترفـرف مـن أعشـاش جسـدها فـراخ لـذة لم يكتمـل نمـو ريـش أجنحتهـا بعـد، فتسـقط عـلى حافّـة الليـل..

تبكـي الشـجرة مـن فرحـة قتلهـا، فقـد خلّفـت عـلى تـراب السريـر نـواة الشـهقة، يقـول رجـلٌ:

- لقد أخفى فأسه بين ثيابه، وهو يبرح الغابة..

عصفور غزاوي

ظلّ يلعب طيلة ذلك اليوم ببالون قرب باب البيت.. نفخه، وعقد فتحته، ثم راح يهزّه بطرف الخيط.. يجري به طوراً، ويقذفه في الهواء طوراً آخر، ليعود ويستقرّ في حضنه، ثم يقرفص أرضاً ويضعه إلى جواره ريثما يُصلح شسع حذائه.
تسأله البنت التي في مثل عمره:

- من أين اشتريت البالون؟..

يردّ بضحكة ظفر صافية:

- من عند عمّو حسّان.

وتقول إنّ بقالة العمّ حسّان مغلقة طوال اليوم، وأنها انتظرت منذ الصباح الباكر لتشتري لها بالوناً كبالونه، فلم يحالفها الحظّ..

ينفض عن بنطاله القصير تراب الأرض، ويخمّن أنها الحرب..

- في الحرب لا تفتح البقالات طوال الوقت..
- فكيف اشتريته أنتَ؟..

لا يجيب، يتركها واقفة على عتبة الباب بفستانها الأبيض المطرّز عند الحواف بأزهار ضاربة في الحمرة، يجري مع الرّيح غير آبه بأصوات القذائف، تتطلّع إليه بعينين مفرغتين من الفرح، والبالون يسحبه رويداً رويداً نحو السماء البعيدة...

مسافات

لم يكن الوضع رجلاً وطفلة يسيران، ربما بدا الأمر لمن يرى أنّي أجرّها، كانت تتهجّى الأرض بساقين طريتين لأول مرة، ثم تنظر نحو ما يعترض عينيها من صور الطريق، ولأجل أن تفهم ما يجري حولها فقد كانت تلتفتُ، تمشي وتلتفتُ، وأحسبُ أنها لا تفهم شيئاً مما تراه، لكنها تصرّ على ملاحقة كل ما يتحرّك في مدار رؤيتها، وقالت لي فتاة حاذتني بمرورها:

- انتبه على البنت..

انتبهتُ إلى إحساس الثقل الذي سرى في يدي، نظرتُ إلى "هيام" فبدا لي وكأنّ جذعها الصّغير متأخراً بالنسبة لحركتيّ ساقيها، كان الوضع كأنّي أسحبها، ورانت منها نظرات إلى الوراء تمسح بها ما تأخرّت عن التقاطه من صور، فكّرت ساعتها في حملها بين ذراعيّ، غير أن هتاف هاتف أقعدني عن فعل ذلك.. دع البنت تتعلّم المشي..

* * *

تجذبني من يدي الآن، ولربما ترقبُ الطريق بعينين يقظتين لعلّ فيها ما يعيق سيري، تمشي بعثراتي ذاتها، فقد بدا وضعنا للرّائي كأنها تجرّني، وكنتُ أحاول أن أكفيها عناء حملي بِطَرْقِ العصا

عـلى الرّصيـف، وهـي تطمئـن:

- مِنْ هنا.. على مهلك بابا..

قلتُ لها بخجل من يحجل في سنواته المديدة:

- سامحي هذا الثقل الذي ابتلاك الله به..

بكـتْ، أظـنّ أنهـا بكـتْ، فقـد أحسسـتُ ذلـك مـن ضغـط يدهـا عـلى يـدي ونحـن نسـير في صمـت.

القشور واللباب

وقـف " عليـوة " بقامتـه المحدودبـة وقـد غشـيه صمـتٌ فاسـدٌ، محتبسـاً جرعـة في فمـه فـلا هـو ابتلعهـا ولا هـو بصقهـا، كأنـما يحـاول أن ينفـذ إلى معنـى المـذاق الـذي حـيّره، ثـم راح يتأملنـي بعـين الشـك ويـده تمخـض مـا في جـوف الزجاجـة.. أخـيرا أشـاح بوجهـه المتقـزِّز عنّـي وقـذف المـشروب مـن فمـه، تحسّـس لسـانه بأطـراف أصابعـه، وهـو ينبـس:

- ليست بيرة

- لا؟!..

أقسمَ بالله، لعن وشتم، ثم عاد يبصق على الأرض..

- ألم تقل بأنه نسيها؟..

- خمّنتُ ذلك.

- ابن القحبة لقد تبوّل فيها...

ابتسـمتُ، ثـم ضحكـتُ، ثـم قهقهـتُ، ثـم ملأتنـي الدمـوع وأنـا أتهـاوى على الكـرسي..

وقال:

- كنتَ تعرف..

- لا والله...

- الزّجاجة خضراء لا تكشف ما بداخلها.

أثقلتنـي المفاجـأة فاستسـلمتُ لضحـك سـاخر، فيـما راح هـو يفتّـش

في أرجاء المكان عن جرعة ماء يكنس بها ما بقي من ملوحة في لسانه..

- هناك أشياء لا تعرفها على حقيقتها إلاّ إذا جرّبتها..

وتهالك على كرسي إلى جواري، وهو ينفض بالبصاق آخر طعم من فمه، ويقول:

- من كان يتخيّل أن يقوم رجل في مثل منصبه وبكل تلك الأناقة بمثل هذا الفعل الشنيع؟..

- أنت أشنع منه.

شقّ شعاع بسمة طريقه إلى تجاعيد وجهه المغضّن، وهمس كالمؤمن:

- لقد خدعني مرتين.

هذه الشّجرة

البنت التي لم ينضج مشمشها بعدُ. تُغْرِي الطّائر بكذبة اللون فيحطّ على غصن يدها بتردّد، يحملقُ.. لا عين ترقبه إذن... يقفز بحركة خاطفة إلى غصن جذعها فتتأوه وتتمايل من ملمس الرّيح كاشفة عن مشمشها أكثر وقد بدا من وراء برقع وريقاتها في حجم صغير..

تُفْتَضَحُ كذبة اللون بعد فوات الأوان، فجوع الطّائر قد تدلّى نضجه إلى الحدّ الذي قذف به إلى سرير فتنتها الكاذبة. تَمَنَّعَتْ أول الأمر، ثم صدّته بقسوة فجّها. عاد الطّائر يلعق خيبته، وينتفُ ريشه بمنقاره، ويدير رأسه في الأفق بالجوع ذاته، ثم يطير مبتعداً عن هذه الشّجرة..

التّفّاح

قالت المرأة التي أعطيتها حبّة تفّاح من حديقة قلبي:

- طعم تفَّاحكَ لا يشبه تفّاح تلك الحدائق التي مررتُ بها وأنا في طريقي إليك..

ابتسمتُ في سرّي، وعاجلتها بقبلة أدمتْ الطّائر الذي كان يحوم حولنا..

امتلاء

قال لها:

- املئي روحي بما أحبّ...

فقالت:

- عليكَ بالموت...

المرعى

قال العارف لجلّاسه:

- ما الذي يتغص صفو لياليكم؟...

فقالوا بصوت واحد:

- لا نكاد نفهم كيف يختفي بعضنا من المرعى؟..

مال على طرف ثوبه وقال:

- في كل منعطف يتربّص بكم ذئب الموت، أنتم الحملان التي تتلّهى باجترار كلأ أيامها.

الحصاد

تهندمت المرأة وتعطّرت، ثم لفّت جسدها النّاري بالملاءة، أخفت نصف وجهها ببرقع أبيض، ومضت تزرع فتنتها في الأرض..

نبتتْ سنابل الحياة في آثار خطاها، ثم ما لبثتْ أن مالت إلى لونٍ ذهبيّ من جرّاء لهيب الوقت..

عند ظهيرة الحياة.. مضى الرّجال في أثرها بمناجلهم يعلنون موسم الحصاد..

البخيل

تأمّل المساحة الفارغة المجاورة لقبر الميّت، غمغم لنفسه بكلمات لم يتبيّنها أحد، كان المكان يشعّ بحشائش خضراء لا تزال تحتفظ بندى الصباح الطازج، لسبب ما صادف وجود شجرة زيتون متعرّشة عند رأس القبر.. تأمّل ظلّها الذي امتد خارج حدود السياج، وقال لنفسه ما لم يدركوه منه، ففي جلبة الدفن حدث كل شيء بسرعة، انهال التراب والطوب يقرع قطع الخشب الفاصلة بين الحياة والموت، وقال رجل معمّم:

- الفاتحة...

تضرّع الرّجل إلى الله أن يكتب له هذا المكان المغري..

المداد

نجلس في آخر الصفّ، نقتسم الهرج والمرج، نمزّق أوراق كراريسنا دون هوادة، لتتحوّل في أيدينا إلى كرات قابلة للقذف، نرقُب من يحاول أن يشي بنا، لكننا سرعان ما نغرق في شيطنة يقول لنا أحدهم فيها:

- نتراهن أيّنا يستطيع التبوّل في محبرة أول طاولة دون أن تدركه عين؟..

الرّغيف

بعـد أن نـام دود الشـهوة في تـراب جسـده، اغتسـل مـن وحـل عرقهـا، وراح يفكّـر في الآتي...

كـم تغـيّر جسـمها بـين البدايـة والنهايـة، ذابـت الإثـارة كفـصّ ملـح في مـاء هـادر، وتوسّـد جسـده اليقـين الفـارغ، وتمثّلـتْ لـه بهـذا الهبـاء والتكـرار، فخـرج عـن صمتـه قائـلا:

- كم ثمن ليلتنا هذه؟..

لم تجبـه، تمطّـت كقطّـة، وابتسـمت بتعـب طائـر مهيـض الجنـاح، وانسـحبت تاركـة رغيـف أطفالهـا عـلى سريـره.

حبل غسيل

الرّجل الذي يعشق ارتداء ملابس النساء، ينظر بعين فارغة إلى الأفق الدّاكن، تصول الرّياح محمّلة ببعض المطر، فتحرم السيّدة نشر غسيلها، يبدو الحبل فارغاً كعينه، ترنّحه الرّيح بعصفها القوي.

تنتظر السيّدة هدوء العاصفة كما ينتظرها هو، ليؤدّي محبّته الكاملة.

الضلال

قال الرجل الضّال في صحاري رغبته:

- سكرتُ؛ وتبوّلتُ؛ وغنّيتُ؛ ورقصتُ.. في آخر الليل همستْ لي امرأة.. " أنتَ من نسل الشيطان، وهذه الحياة لن تكون إلاّ بك.."

كانت يدها باردة وسخيّة وعامرة بكل ما لذّ وطاب، فاحتويتها وسرنا في طريق الليل..

النهاية

وضع الرّجل نفسه في مأزق ثم اتهمني بذنب ما وقع فيه.. قال فيما قال إنّ خيالي الجامح ونشوتي المهووسة تحجب عنّي رؤية الحقائق وتعرّضني للنسيان. ثم سألني بقلق:

- هل تعرف معنى أن تتركني هكذا؟...

قلتُ:

- عليك أن تتصرّف من وحي عقلك.. أنت أكبر من أن تستسلم للشكوى..

أشاح عنّي وجهه، وعاد إلى كأسه وهو يقول:

- عليّ أن أنسى إذن، وعليك أن تدرك أنك لم تترك لي خياراً لطريق سوّية.

راح يشربُ ويتأمل الحياة، كنتُ أرقبه بعين قلقة، وكم وددتُ أن أسأله عن الخطوة القادمة غير أنّي خفتُ أن يحمّلني من جديد مسؤولية ضياعه الكامل، وأن يطالبني بالحل المناسب الذي سيجعله يرفلُ في ثياب السعادة.

اقتربتْ منه امرأة مليحة كشفتْ عن نصف صدرها، فبدت في بياض الثلج، سألته أن يشعل سيجارتها..

نسيني تمامًا وهو يغوص معها فيما لم أرض عنه، تراخى في

كسل اللذة وذاب في حميمية متطرّفة، واندفعتُ أحذّره من عاقبة فعله فلم يأبه، سألته أن يصحو من سكرات النشوة. فسعل وهو يقول:

- ألم تخلقني لذلك؟..

قلتُ بغيظ:

- سيقتلك..

- لو حصل ذلك فسأحمّلك وزر دمي..

وظهر ظل رجل وهو يشهر حجراً ويهوي به على أم رأسه، فقهقه وهو يقول:

- هل تستطيع أن تبتكر لي نهاية خارج هذه النهاية؟!...

الفهرس

تنويه	05
المقدمة	07
أمنية	09
الإيمان	10
السؤال	11
العزف	12
الشبق	13
إنّا لله وإنّا إليه راجعون	14
انتظار	16
التاريخ والجغرافيا	17
مالك الحزين	19
الحبّ القديم	20
تذكار	21
رقصة النّار	22
نعمٌ كثيرة	23
مشكلة	24
الوصول	25
الغائب	26
الله	27

اللقاء	29
العظمة	30
نزوة	31
الجنازة	32
المجنون	33
الوحي	34
النجاح	35
الجواب	37
لم يقل الجسد أكثر من الماء	38
الجارة	39
القناع	40
المسرح	41
في أعلى الشجرة	43
الأسباب	44
المجهول	47
الإيثار	48
الأثر	49
الربيع والخريف	50
الثورة	51
السرّ	52
الحياة	53
سنابل النّار	55
الحطّاب	56
عصفور غزّاوي	57
مسافات	58

القشور واللباب 60
هذه الشجرة 62
التفاح 63
امتلاء 65
المرعى 66
الحصاد 67
البخيل 68
المداد 69
الرّغيف 70
حبل غسيل 71
الضّلال 73
النهاية 74